رسالة ملكية إلى المشاركين في احتفالات الذكرى الأربعين لبناء طريق الوحدة

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة إلى المشاركين في الاحتفالات التي تخلد للذكرى الأربعين لبناء طريق الوحدة التي نظمتها تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة يوم 29 صفر 1418هـ الموافق 5 يوليوز 1997م جمعية تاونات وردزاغ للتنمية تحت شعار "طريق الوحدة-سد الوحدة مسيرة متواصلة في مغرب التحدي".

وفيما يلي نص الرسالة السامية التي تلاها السيد محمد الكتاني المكلف بمهمة في الديوان الملكي خلال حفل أقيم بمقر عمالة تاونات:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله آله وصحبه

حضرات السادة والسيدات،

إن الحدث الذي تحيون اليوم ذكراه الأربعين وهو انطلاق بناء طريق الوحدة في مثل هذا اليوم لجدير بإضفاء رعايتنا الملكية عليه وبتوجيه هذه الرسالة السامية إلى المحتفلين بذكراه ذلك أنه حدث كبير يذكرنا جميعا بمرحلة من التاريخ المغربي المعاصر حقق النضال الوطني فيها أهدافه وحققت ثورة الملك والشعب غايتها باسترجاع الاستقلال والسيادة. إنها المرحلة التي بدأت مع بزوغ فجر الإستقلال وتضاعفت خلالها تعبئة الشعب لخوض نضال جديد لترجمة الاستقلال إلى انجازات متوالية من البناء والتنظيم والتنمية. وهذا ما استشعره بطل التحرير يومئذ جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه حين أعلن أن المغرب إذ يسترجع استقلاله فإنه سيخرج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

ولم يكن الجهاد الأكبر الذي يعنيه جلالته سوى انتقال المغاربة من ميدان مواجهة المستعمر بعد جلائه عن الوطن إلى ميدان مواجهة القضاء على آثار الاستعمار نفسها التي خلفها وراءه وهو ميدان كان يقتضي مواجهة الذات وتعبئتها في معركة جديدة للبناء والتشييد بكل ما تقتضيه المرحلة من تفان وإخلاص وإنكار للذات ووحدة صف والتفاف أقوى حول قائد الأمة وملكها وانضباط مع قيم السلوك الوطني الأمثل.

وقد كان في مقدمة ما يجب القضاء عليه يومئذ من تلك الآثار السلبية والمظاهر المنافية للوحدة الوطنية القضاء على مظاهر التمييز والقطيعة بين الشمال والجنوب من مملكتنا السعيدة، تلك المظاهر التي كرستها كل من الحماية الاسبانية في الشمال والحماية الفرنسية في الجنوب فكان لا بد من محوها واسترجاع أسباب التواصل الاجتماعي بين المنطقتين وممارسة فعلية للوحدة الشاملة بين جميع أنحاء المملكة بتوحيد العملة وإزالة الحواجز الحدودية بين الشمال والجنوب وفتح المسالك بينهما وشق الطرقات فيما بين أقاليمها وتعبيدها.

ولم يكن للمغرب يومئذ وهو قد خرج من معركة المقاومة والنضال سوى خيار واحد هو خيار التعبئة الشاملة لكل السواعد والعقول لتحقيق مشاريعه في التغيير المنشود وإنجاز إقلاع كبير ينطلق من بناء كل شيء على أساس جديد وذلك في كل قطاع من قطاعات حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادارية.

في هذا السياق من روح التعبئة الشاملة جاء نداء محمد الخامس -رحمه الله- إلى شباب المغرب يومئذ أن يتطوعوا لبناء طريق الوحدة الواصلة بين الشمال والجنوب لمحو مظاهر القطيعة التي كانت مستحكمة بينهما بفعل سياسة عهد الحماية البغيض فقد كانت الطرق أيامها في شمالي المملكة تسير موازية لخط الحدود الفاصل بين المنطقتين المحميتين دون

أن تخترقها مستغلة طبيعة التضاريس الجبلية القائمة بين سلسلة جبال الريف وسلسلة جبال الأطلس المتوسط. فلم يكن هناك أي طريق معبد يخترق الحدود الوهمية إلا في نقطتين متباعدتين إحداهما بأقصى المغرب الشرقي بين بركان ومليلية في قنطرة الصفصاف والأخرى بأقصى المغرب الغربي بين سوق الأربعاء والقصر الكبير في عرباوة. لم يكن أمام المواطن المغربي أي خيار في أن يقطع مئات الكيلومترات مشرقا أو مغربا إن أراد أن ينتقل من المنطقة الجنوبية إلى المنطقة الشمالية ولو إلى مدينة قريبة منه وكل ذلك يحول دون قيام أي نشاط اقتصادي أو ثقافي بين المنطقتين ويعزل القرى عن بعضها فاستهدف شق طريق المسافة بينهما في الوسط بحيث يصبح هذا الطريق رابطا أيضا بين مدينة فاس ومدينة الحسيمة على أقرب مسافة بينهما وهو الطريق بين تاونات وكتامة وإعطاء الريف الذي كان قد أبلى البلاء الحسن في المقاومة الوطنية منفذا اقتصاديا وسياحيا يخرجه من عزلته وينمي علاقاته الاقتصادية والثقافية بسائر جهات المملكة.

لقد كان المشروع تحديا للطبيعة الوعرة والتضاريس الجبلية المنيعة ولكن الإرادة الوطنية كانت أصلب وأقوى ذلكم أن ايمان المغاربة بالوحدة الوطنية وإقامة مؤسساتها وتوفير أسبابها والقضاء على معوقاتها خير قوة تسلحنا بها يومئذ ونحن الذين واجهنا في عهد الاستعمار سياسة التفرقة بين فئات شعبنا والتجزئة بين أقاليم الوطن الواحد.

لقد كنا يومئذ -ونحن ولي العهد- نعمل بجانب والدنا المنعم بطل التحرير ورائد هذا الجهاد محمد الخامس قدس الله روحه مجندين تحت قيادته معبئين بروحه العالية ناهضين بكل المسؤوليات التي أملتها علينا المرحلة التاريخية يومئذ من تعبئة شاملة ونكران للذات. فما أن أعلن جلالته عن مشروع بناء طريق الوحدة ووجه نداءه السامي بشأنه يوم خامس عشر يونيو من سنة 1957 بمراكش مهيبا بالشباب المغربي أن يتطوع لبنائه حتى كنا

أول من تطوع للعمل في إنجازه فعملنا منذ الوهلة الأولى على رأس الهيئة الحكومية المكلفة بتنظيمه وتنفيذه وتعبئة كل القوى والفعاليات للالتحاق ب "أوراشه". ومايزال يرن في نفوسنا صوت والدنا العظيم وهو يخاطب شعبه الوفي قائلا:

ويسرنا أن ننهي إليكم أننا سندشن بنفسنا العمل وأن ولي عهدنا مولاي الحسن -أصلحه الله- سجل اسمه كأول متطوع جريا على مألوف عادته في تجنيد نفسه دائما لخدمة المصالح العليا للشعب والوقوف بجانب العاملين من أجل سعادته ورفاهيته كما أننا سنتفقد بنفسنا مراكز العمل في مستهل كل شهر من الأشهر الثلاثة التي سيستغرقها إنجاز المشروع..

وما إن حل يوم خامس يوليوز من سنة 1957 حتى كنا في مقدمة الحاضرين في معسكرات المتطوعين الذين جاؤوا من كل حدب وصوب للمشاركة في بناء طريق الوحدة حيث ترأس جلالة المغفور له محمد الخامس حفل تدشينه. لقد كان مقررا أن يتطوع لبنائه وتعبيده اثنا عشر ألف متطوع بمعدل أربعة آلاف لكل شهر من أشهر العمل الثلاثة المقررة له. وكان مقررا أن يتلقى هؤلاء المتطوعون تكوينا وطنيا مدنيا وعسكريا وأن تساهم في تغطية حاجياته المادية من آليات وتأطير وغذاء ودور وخيام ومواصلات كل المؤسسات الحكومية والهيئات المتطوعة.

وبالنظر إلى الحماس الوطني الذي غمر قلوب المتطوعين وإلى المساهمات الخيرة والفعالة لتنفيذه والمعاني التي كان يرمز إليها فإن طريق الوحدة لم تكن طريقا للتواصل بين الشمال والجنوب وحسب ولكنها كانت قبل كل شيء تجربة تاريخية عبرت عن التحام شباب المغرب يومئذ في سبيل محو مظاهر التفرقة والتجزئة للوطن الواحد. وكان مما غمرنا يومئذ بالسعادة أن نشترك مع هذه الفئات من الشبيبة المغربية الوافدة من كل أقاليم المملكة في ورش واحد وأن نقف عن كثب على مشاعر شعبنا المتعلقة

بالعرش وبالملك المجاهد الذي تربع عليه ويقود خطاه نحو الوحدة والتنمية والحياة الديموقراطية.

أيها السادة والسيدات

علينا أن نذكر الجيل الحاضر الذي لم يعش هذه المرحلة التاريخية بأن المغرب تحول غداة الاستقلال إلى ورش كبير متعدد الحقول والميادين والمشاريع التي احتضنت كل الفعاليات المخلصة واستوعبت كل الجهود الصادقة البناءة في سبيل مغرب حر موحد متضامن مندمج في مسيرات متوالية للوحدة والتنمية وإرساء أسس دولة عصرية تستثمر طاقات شبابها في مجال التجديد وتكوين الأطر واستيعاب ما يفرضه التقدم الإنساني من تطور وتشييد، كما أن علينا أن نذكر أيضا أننا أتحنا في كل مرحلة من المراحل التي قطعناها حتى اليوم الفرصة لشبابنا كي يساهموا في بناء وطنهم بقدر ما ساهم الجيل الذي قبلهم.

أجل نستحضر روح التعبئة الشاملة اليوم لنؤكد لكم أن المغرب يعيش مرة أخرى مرحلة من التحولات العميقة وهو على مشارف القرن الواحد والعشرين تحولات تستدعي منا التحكم في مسيرة التنمية وعقلنة مشروعاتها واستيعاب المتغيرات التي تحملها إلينا رياح "العولمة". ولذلك فإن على المغرب أن ينظر اليوم إلى المستقبل بأكثر ما يمكنه من الوعي والتبصر وبأكثر ما يمكن من الحفاظ على هويته الثقافية ورسالته الحضارية ووحدته الوطنية. وشبابنا اليوم هو سواعد المغرب في البناء وهم عقوله في البرمجة والتخطيط وهم الذين يواجهون المتغيرات الهيكلية في الاقتصاد والتكنولوجيا والتجديد المؤسساتي للمجتمع المدني. وعليهم تعقد الآمال والطموحات التي يتعين عليهم ترجمتها إلى واقع ملموس.

وبقدر ما كان طريق الوحدة رمزا للوحدة الترابية بين مناطق البلاد وتعبيرا عن إرادة راسخة لدى المغاربة في التشبث بها فإننا نستخلص من

هذا الحدث الذي نخلده اليوم درسا سيبقى بمثابة دعوة لشبابنا لاستيعاب مفهوم الوحدة الوطنية لا كشعار فقط ولكن كحقيقة وطنية أساسية لا استمرار ولا سيادة ولا قوة للمغرب بدونها. وهي الوحدة التي ظللنا نناضل من أجل استكمالها وإرساء بنياتها حين دعونا إلى المسيرة الخضراء وحين قمنا بها في وعي وطني وانضباط صار مضرب الأمثال وحين جعلنا من ترسيخ المنهج الديموقراطي وتجديد مؤسساته أساسا لتعميقها وإرسائها على قواعد ثابتة.

ولا شك في أن هذه الوحدة بكل أبعادها وقيمها هي رصيد المغرب اليوم وعدته التي لا غنى عنها في خوض كل معركة يفرضها عليه واجب الحفاظ على الوحدة والسيادة أو رفع أي تحد يواجهه للحاق بالعالم المتقدم عالم القرن المقبل.

لذلك ننوه اليوم بهذه المبادرة الموفقة التي قامت بها جمعية تاونات وردزاغ للتنمية مشكورة على جهودها في تخليد ذكرى هذا الحدث وجعله مناسبة يلتقي فيها الجيل الباني من شباب الخمسينيات والجيل الحاضر من شباب التسعينات التقاء يرمز إلى تواصل الأجيال وتعاقبها على خدمة هذا البلد الأمين الذي نسعى بكل طاقاتها إلى تحقيق طموحات أبنائه على أساس إشراكهم في تفعيل آليات تقدمه وارتقائه عاقدين على شبابه خاصة الآمال الكبيرة في تحقيق ما يتطلع إليه من مكانة متميزة بين أمم العالم المتقدمة.

والسلام عليكم ورحمة الله

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الخميس

27 صفر الخير عام 1418 للهجرة الموافق لثالث يوليوز سنة 1997.